المحاضرة السابعة

مدخل إلى الصرافة Morphologie

1- الصرافة: المفهوم وأنواع الصرفات:

1-1. المفهوم:

تعد الصرافة مكونا من مكونات الدرس اللساني، إلا أن ملامحه وحدوده لم تحدد بشكل واضح في اللسانيات التوليدية؛ واعتبر مكونا مُكَمِّلا أو داعما للمكونات الأساس التي ينتظم بها "النحو" في هذه النظرية؛ فقد تحوَّل الاهتمام صوب المكون التركيبي الذي عُدَّ عمود النظرية، والمكونين التأويليين: المكون الدلالي، والمكون الصواتي. لكن، تمت العودة لـ "الصِّرافة" مع الصعوبات التي بدأت تواجه الباحثين الصواتيين والتركيبيين في حل بعض القضايا.

إن الصرافة بحسب جون ديبوا هي: "الدراسة التي تهتم بأشكال الكلمات (الإلصاق والاشتقاق)، بمقابل دراسة الوظائف التي يعنى بها التركيب" (Dubois Jean et al. ((1973) : Dictionnaire de linguistique, larousse, paris, p 326

ويعرفها يوجين نايدا بأنها: "العلم الذي يدرس الصرفات وتوليفها لتشكيل الكلمات" (Nida, EUGENE (1949) : Morphology : The Descriptive Analysis of Word, 2 (ed.University of Michigan Press.

يتضح من النصين السابقين أن تأليف الكلمات ينبني على عناصر صغيرة هي الصُّرفات Morphemes، فالصرفة هي أصغر وحدة داخل السلسلة الصوتية، تؤدي وظيفة خاصة، و/ أو تحمل معنى خاصا. فالصرفة دال لساني (لها شكل صوتي منطوق)، له مدلول (المعاني بمختلف طبقاتها؛ المعجمية والدلالية والمقولية...). وهكذا؛ تكون عبارة (يَكْتُبونَ) مؤلفة من عدة صُرْفات:

- صُرفة الضمير الممثلة بـ /y/؛
- صُرفة جذع الفعل المضارع الممثلة بـ /aktub/؛
- صُرفة العدد الممثلة بـ /uu/؛
- صُرفة الإعراب بـ /na/.

/y + aktub + uu +na/

فكلٌّ من هذه الصرفات يمكنها أن تأتلف مع صرفات أخرى لتشكيل كلمات جديدة مختلفة المعاني.

2-1. أقسام الصرفات:

يتم التمييز بين نوعين من الصرفات:

- الصرفات المعجمية Lexical morphemes وهي وحدات حرة. وتتمثل بحسب الألسن في الجذور أو الجذوع، وهي عناصر تختلف في تركيبها بحسب الألسن؛ فالجذوع في الألسن الهندأوربية مثلا، تعتبر وحدات مستقلة قابلة للنطق بشكل مستقل، وتؤدي وظيفة ومعنىً. في حين أن الجذوع في الألسن السامية، ومنها اللسان العربي، هي نتيجة لعمليةٍ تأليفية بين عناصر مختلفة.
- الصرفات النحوية Grammatical morphemes وهي وحدات مربوطة Affixes، فتحقيقها يتم عبر عملية إلصاق بجذع معين، ويتمظهر الإلصاق في ثلاثة أصناف:

- السوابق Prefixes: ونقصد به الإلصاق القَبْلي؛ أي: العناصر التي تُلْصَق ببداية الجذع، نحو: لام التعريف في العربية.
- اللواصق suffixes: ونقصد به الإلصاق البَعدي؛ أي: العناصر التي تلصق بنهاية الجذع، نحو: الضمائر المتصلة، والحركات وعلامات الإعراب، وعلامات العدد في العربية.
- الدواخل Infixes: ونقصد به الإلصاق الداخلي؛ أي: العناصر التي يتم إلصاقها داخل الجذع لاشتقاق "كلمات" جديدة، نحو: صرفات اشتقاق "جمع التكسير"، وصيغ "التصغير"، والصيغة الفعلية الدالة على المطاوعة "افتعل" في العربية.

3-1. "الكلمة" في الصرف العربي:

تطرح الكلمة في الصرف العربي إشكالا عميقا، فبناء الكلمة في اللغات الطبيعية يخضع لخصوصيات وقوانين تأليفية. وقد اهتم البحث اللساني بمقاربتها؛ خاصة الأنساق التوليدية بنماذجها التمثيلية المختلفة. يمكن أن نحصر الفرضيات الكفيلة بتحقيق النظرية التي يمكن أن تبنى فيها الكلمة إلى الفرضية الصرفية، والفرضية المعجمية، والفرضية التركيبية، للنظر في أيها أصلح لفهم بناء الكلمة؛ وقد نقلت

هذه المعالجات من الأنظمة الصرفية السلسلية (الهندوروبية) إلى الأنظمة غير السلسلية كالعربية واللغات السامية مع نحاة التوليدية الذين اهتموا بالنظرية التوليدية وتطبيقاتها على اللغة العربية، من خلال الانتقال من البحث في المحقق المسموع والمكتوب إلى البحث عن البنى العميقة.

ولمعالجة صورة الكلمة؛ وظف العرب المتقدمون عدة مصطلحات، حيث نجد الصيغة والوزن والبناء والمثال والهيئة. وهم يقصدون قالبا يتكون من مستويين؛ يراعى في الأول عدد القطع الصامتية وترتيبها ومواقعها، ويراعي الثاني الصوائت وأجراسها. يقول الأستراباذي: "فرَجُل على صفة وهيئة عَضُد، وهي كونه على ثلاثة أولها مفتوح وثانيها مضموم" (شرح الشافية، 23/1)، وهذا يعني أن قالب الصيغة عبارةٌ عن أحياز، أما الصوائت فتظهر محققة.

يرصد هذا النص مبادئ تحديد الهيئة وهي:

- **وجود النظير**؛ فقد أكد أن اللفظ الذي يحظى بهيئة صرفية يجب أن يكون له نظير، فلا يرجح تخصيص لفظ ورد على صورة لا يشاركه فيها غيره بصيغة محددة.

- **مبدأ ترتيب الحروف**؛ يقول: "وإنما قلنا حروفها المرتبة لأنه إذا تغير النظام والترتيب تغير الوزن" (ش. الشافية، 12/2)، ومثاله وزن (يَئِس) على (فَعِل)، و(أَيِس) على (عَفِل).

- **فالتمييز بين الأصلي والزائد**؛ فمراعاة الأصالة والزيادة هي ما يفيد أن هيئة (دَرَّس) هي (فَعَّل) وليس (فَعْلَل).

- **مبدأ الموقع**؛ فوزن (دِرْهَم) على (فِعْلَل)، وليس كذلك وزن (قِمَطْر) الذي يكون على (فِعَلّ)، لتخالف موقعي الفَتْحَتَيْن والسُّكونَيْنِ.

فما علاقة البنية بالصيغة في بناء الكلمة؟

من القدماء من فرق بين الوزن أو الصيغة والبناء؛ فابن جني أكد كون (اِنْفَعَل) على وزن (اِفْتَعَل) في الحركة والسكون وإن لم يكن على بنائه، فالمثالان يتفقان في الوزن لاتفاقهما في البنية الصورية، ويختلفان بناء لتباين تكوينهما الصريفي. كذلك ميز أبو البقاء الكفوي بين مادة الكلمة وصيغتها موضحا أن الأبنية حاصل الجمع

بينهما، يقول: "الصيغة هي الهيئة العارضة للفظ باعتبار الحركات والسكنات وتقديم بعض الحروف على بعض وهي صورة الكلمة، والحروف مادتها، والبنية هي الحروف مع الحركات والسكنات" (الكليات/560).

يتضح أن الوزن/ الصيغة اصطلاحيا مخالف للبناء؛ فنفس الفاء والعين واللام في الأول غير موجود في الكلمة التي مثل بها؛ فالصيغة "وحدة صرفية تتكون من مصوتات محققة وأحياز صامتية شاغرة، وأن احتياجها للفاء والعين واللام ضرورة مقطعية وصرفية". (د. محمد الفتحي، 2006، الأبنية في اللغة العربية: تفاعل الصرف والتطريز، منشورات دار ما بعد الحداثة/ 74). ومنه نقول: إن الجذر يتكون من الصوامت، والصيغة تتكون من الصوائت، وعملية الاشتقاق تنبني عليهما معاً.

لقد أكد اللساني الفرنسي Jucquois 1970 في مقارنة له بين مكونات الجذر في اللغات السامية واللغات الهندأوربية، أن الجذر يتكون عموما من ثلاثة صوامت في النمط السامي، بينما يتكون في النمط الهندأوربي من صامتين تتوسطهما حركة نحو:men ، pet في النمط السامي، (La théorie de la racine en indo-européen, revue la linguistique, v 1, pp 2-6.) وقال إن الحركات ليست من مكونات الجذر في النمط السامي، بل يلجأ إليها في حالات الإعراب وحالات الاشتقاق (ص 88).

لقد طرح جمال الدين كولوغلي (1978) فرضية وجود نوعين من الكلمات في اللغة العربية:

- الكلمة البسيطة: وهي التي تتضمن فقط الجذع، وأصناف الصرفات النحوية.
- الكلمة المعقدة: وهي التي تتضمن كلمة بسيطة ألصقت بها لواحق؛ ففي (كَتَبْتُماهُ)؛ الصرفة "هُ" لاصقة دالة على المفعولية، وعلاقتها بالجذع ضعيفة، لأنها مفصولة عنه باللاصقة "تُما" الدالة على الفاعلية.

4-1. الصرافة السلسلية (الخطية) والصرافة غير السلسلية (غير الخطية):

استجلت الدراسات اللسانية في مقاربتها للبناء الصرفي للألسن الطبيعية نمطين صرافيين:

- الصرافة السلسلية concatenative morphology: وهي التي تتميز بإلصاق الصرفات المعجمية والصرفات النحوية مع بعضها البعض بشكل

تسلسلي في الزمن والمكان (خطي)، ويخص الألسن التي يكون فيها الجذع معجميا غير قابل للتفكيك. ويتم إلصاق صرفات معجمية في أوله أو آخره، أو هما معا، لأجل إنتاج كلمات جديدة، نحو: الجذع: /form/، حيث يمكن أن نلصق بآخره الصرفة /ation/ لنحصل على [formation] ثم نضيف /in/ للحصول على [information]، و/lire/ مع /relire/، و/commun/ مع /communauté/، sable -: sableur، sabler، sablement، sable.

- الصرافة غير السلسلية Non concatenative morphology: يهم الألسن التي يكون فيها الجذع غير معطىً، وإنما هو أيضا خاضع لآليات التأليف الصرافي. فهذا النوع أكثر تعقيدا، تندرج فيه الألسن التي هي من نمط اللسان العربي؛ والتي تتميز بالإضافة إلى قبول عمليات الإلصاق التي تميز الألسن ذات الصرف السلسلي، بظواهر تدخل على الجذع، نحو: التضعيف gemination، والمد، والتكسير، وإلصاق اللواصق infixes والتناوبات الحركية ablaut ونحوها.

1- بناء الكلمة في الصرف غير السلسلي:

- القيود التأليفية على صياغة الكلمة:

إن تحديد الوحدات المعجمية الممكنة أو غير الممكنة في لغة من اللغات الطبيعية يقتضي بناء نماذج افتراضية لتكوين هذه الوحدات المعجمية، بحيث ينبغي بناء نموذج صواتي يحدد الجذور الممكنة والأخرى غير الممكنة في اللغة العربية، وبناء نموذج صرافي يحدد الصيغ الممكنة فيها.

أ) - القيود الصواتية:

وتشمل القوانين الصوتية مظاهر مطردة ثلاث، وهي:

- مظهر كلي: ففي كل اللغات الطبيعية؛ هناك تأليفات ممكنة وأخرى غير ممكنة بين القطع الصوتية.
- مظهر نمطي: فاللغات التي تنتمي إلى نفس المجموعة اللغوية كالمجموعة الحامية السامية أو الهندوروبية تشترك في المفاهيم والمبادئ والقوانين العامة التي تحكم قواعد التأليف بين قطعها الصوتية.

- مظهر خاص: فكل لغة طبيعية تتفرد بقيود تأليفية خاصة بها.

يشتغل مبدآن أساسيان في مجال القيود الصواتية؛ هما:

- مبدأ عدم التماثل: يمنع هذا المبدأ التأليف بين صوتين متماثلين في فاء وعين الجذر، إلا أنه يجوز ذلك في عين الجذر ولامه شريطة ألا تفصل بينهما حركة، فيتحققان قطعة مدغمة؛ نتوقع ألا نجد جذورا من قبيل: (ك.ك.ب)، (ء.ء.ب)، (ع.ع.ب)، (ش.ش.ب)...
- مبدأ عدم التجانس: يمنع هذا المبدأ التأليف بين صوتين من المخرج نفسه أو من مخارج متقاربة، سواء في فاء الجذر وعينه، أو لامه، وتبعا لذلك، نتوقع ألا نجد في المعاجم العربية جذورا من نوع: (ظ.ذ.ح)، (ب.م.ح)، (ل.ر.ح)، (ش.ج.ح)، (ث.خ.ع)، (ف.ذ.ث)...